بعض ما حكى بلغريف عن البحرين

امرأة تقول للمستشار.. الجنس في البحرين مسألة عرض وطلب

ما هو سر سقوط الطائرات الفرنسية في سترة؟

يوم خرج السادات من الماء

8 اغسطس 1972

عميل اسوار

صدر مؤخرا الطبعة الثانية من كتاب Personal Column لمؤلفه «السير شارلز بلغريف» المستشار السابق لحكومة البحرين .. الكتاب يسرد احداثا ووقائع تاريخية مهمة مرت بها البحرين من سنة ١٩٢٦ ، السنة التي بدأ بلغريف فيها العمل كمستشار للحكومة الى سنة ١٩٥٧ وهي السنة التي تقاعد فيها وغادر البحرين .

اكثر من سبب يجعل من العسير الاخذ بما يرويه الكاتب حول التطورات والاحداث السياسية في الخمسينات كحقائق مسلم بها ، ولعل اهم تلك الاسباب هو التناقض بين ما يرويه الكاتب ، وبين ما يرويه الجيل الذي عاش تلك الاحداث ، لكنه على الرغم من ذلك يبقى المصدر المكتوب الوحيد الذي يحدد الخطوط العريضة للتطورات السياسية في تلك الفترة .

اما بالنسبة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، فيمكن اعتباره موفقا لدرجة كبيرة .. فالكاتب يسرد تلك التطورات بطريقة تحليلية دقيقة ومدعمة بالارقام في بعض الاحيان .

لسنا بصدد عرض الكتاب عرضا متكاملا لاسباب اهمها انه يسرد وقائع لازالت مثار جدل وحساسيات ليس من صالح احد اثارتها في هذه الفترة . واكتفي بنقل حكايات قديمة ظلت عالقة بذهني بعد قراءة الكتاب .

●● الجنس والجريمة

يرجع الكاتب الاسباب الكامنة وراء جرائم القتل في معظمها الى الجنس ، ويقول : ان جرائم القتل في تلك الفترة نادرة جدا واذا ما حدثت جريمة قتل فان الضحايا يكونون عادة من النساء اللواتي يلاقين حتفهن على يد الاهل ، ذلك عندما يتورطن في اقامة علاقات غرامية او جنسية مع رجال .. ويروي بيدي الصدد واقعة حدثت في مدينة الحد ، فيقول :

« اشاعة تناهت الى اسماع رجال الشرطة حول اختفاء فتاة .. وعندما كان نساء المدينة يسألن اهلها عنها ، كان الاهل يراوغون ويختلقون الاعذار ، وقد رفع لي رجال شرطة الحد تقريرا حول ما سمعوا .

كنت المسئول عن الشرطة في ذلك الوقت .. كان علينا ان نتحرك بحذر شديد لان اي استجواب من قبل الشرطة للنساء قد يثير لنا المشاكل .. ومن ثم فان الجميع سيمتنعون عن الكلام .

الفتاة كانت ابنة لعائلة فقيرة محترمة ، هي غير متزوجة ، وقد وجد الاهل سببا للشك في ان لابنتهم علاقة مع رجل .

بعد ان تجمعت لدينا معلومات كافية عن الموضوع .. وبعظم هذه المعلومات استقيناها من امراة (لغوية) تمت بصلة القربى لزوجة احد رجال الشرطة .. بعثنا الى والد الفتاة وسألناه عنها .. فقال انها مريضة لذلك بعث بها الى السعودية لزيارة بعض اقاربها . ولم يقنعني حديثه لانني اعلم ان العائلة لا علاقة لها بالسعودية.. فقررت ان اجازف بمهاجمة المنزل وتفتيشه .

في المساء ودون ان نعطي الاهل فرصة لترتيب شيء ذهبت مع قائد وستة من رجال الشرطة ، وانتظرنا قليلا بالباب حتى سمح لنا بالدخول .. كان هناك والد الفتاة واثنين من ابنائه بالاضافة الى عدد من النسوة .. لم يبد ان الرجال قد اهتموا لزيارتنا .. غير ان النسوة المحجبات بدأن في الصراخ .. لم يكن معنا احد يستطيع التعرف على الفتاة فيما لو كانت هناك . وظلت العائلة تصر على ان الفتاة قد ذهبت الى السعودية لزيارة اهلها .. لم يكن هناك في البيت ما يشير الى وجودها حية او ميتة .

نزلت الى حجرة صغيرة في الطابق الارضي ، فشممت رائحة كريهة .. وحين سألت عن مصدرها ، اخبرت انها رائحة « المرحاض » .. لكنها لم تكن في الحقيقة كذلك .

دخل القائد معي الى الحجرة وسمعته يقول .. ان الفتاة مدفونة هنا .. فالسائق

ملابس على السرير واعقاب سجاير مرمية على ارضية الحجرة .. ثم بدا الثلاثة من الشرطة في الحفر . ولم يمض وقت طويل حتى عثروا على ما كانوا يبحثون عنه .. جثة الفتاة .

عرفنا ان الفتاة قتلها احد رجال العائلة .. لانها سلكت الطريق الخطا .. والنساء يعرفن ذلك لكنهن لم يستطعن اكتشاف اي من الرجال قتلها .. الاب .. ام احد الاخوين ؟ كان للتحقيق واكتشاف الجريمة اثره السيء على سكان مدينة الحد . فقد كانوا يتعاطفون مع اهل الفتاة .. حتى اولئك (التقدميون) الى حد ما راوا ان قتل الفتاة كان عدلا واجبا .

وبعض الجرائم يكون ضحاياها من العاهرات اللواتي يقتلن على ايدي اصدقائهن الغيورين .. وهن يعرفن (ببنات الهوى) .

الوضع في المنطقة التي يقطنها هؤلاء مغريا بالنسبة لاولئك المتاجرين بالرقيق الابيض .. حيث يتوفر الاولاد والنساء على السواء .

وقد حاولنا عدة مرات تنظيف المنطقة وتسفير جميع الاولاد والنساء الخوارج .. حين حدث ذلك لاول مرة جاءت مجموعة كبيرة من النساء متظاهرات حول مكتبي احتجاجا على محاولة تسفيرهن الى ديارهن « ايران » و « العراق » و « عمان » ..

وقد تحدثت باسمهن (قوادة) ايرانية فقالت :

ان المسالة ، عرض وطلب . فاذا سفرتم جميع العاهرات الاجنبيات سيبقى المكان شاغرا .. وبالتالي ستقوم البحرينيات مقامهن ..!

على كل حال .. تم تسفير الاولاد والنسوة جميعا .. ولكن بعد شهر او اثنين كانت المنطقة تعمر مرة ثانية . وحين اردنا تنظيفها مرة اخرى فوجئنا بان معظمهن قد اصبحن متجنسات بجرينيات .. ذلك عن طريق الزواج .

●● سقوط الطائرات الفرنسية

في ١٢ يونيو ١٩٥٠ ، كنا نحضر حفل شاي مع بعض الاصدقاء .. لم يكن الجو على ما يرام ذلك المساء ، فقد كانت الريح شديدة ، قبل ان نترك المكان سمعت صوت محرك طائرة ، ذلك لم يثر انتباهي ، لان الطائرات اصبحت شيئا عاديا في البحرين .

ذلك المساء على غير عادتي نمت في الداخل ، لان الجو كان مغبرا ، في وقت مبكر من الصباح قبل خروجي من المنزل ، استلمت مخابرة تليفونية من المطار .. اخبروني ان طائرة فرنسية قد وقعت في البحر بجانب جزيرة سترة .

في القلعة اخبرتهم بما حدث واعطيت الاوامر للشرطة لكي يستعدوا ، حين وصلنا سترة كانت قوارب تابعة لشركة بابكو تجوب المنطقة بحثا عن الطائرة .

ستة اشخاص فقط من اصل واحد وخمسين راكبا وملاحا انتشلناهم احياء .. اما البقية فقد عثرنا عليهم في وقت متاخر .

وفي مستشفى بابكو حاولت معرفة شيء عن الحادث ، لكن حالتهم لم تسمح لهم بقول شيء .

الطائرة كانت قادمة من الهند الصينية حيث تحارب فرنسا ضد الشيوعيين هناك .. وكان الراي السائد في البحرين ان الحادث لم يكن عرضيا بل جاء نتيجة لعمل انتقامي .. في اليوم التالي حضر الى البحرين رسميون فرنسيون من باريس والقاهرة ليتولوا التحقيق في الحادث .. وكان يوما عصيبا بالنسبة لي .

في السماء تغير الجو فالسماء صحو ولم تكن هناك رياح او غبار .. فذهبت للنوم فوق السطوح كالعادة . وفي الساعة الثالثة صباحا ، سمعت شيئا ما ازعجني ، كاني سمعت صوتا يتحدث عن الطائرة الفرنسية .. احداث اليوم ومناظره لا زالت عالقة بذهني لذلك اعتقدت انني كنت احلم . لكني حين نهضت وجدت شابا بريطانيا من الشرطة يقف بجانب سريري .

قال ـ **طائرة فرنسية سقطت في البحر .**

قلت ـ طبعا اعرف كل شيء عنها .. لم جئت لتحدثني عنها الان .

قال ـ بل واحدة اخرى وقعت في نفس المكان .

قلت ـ ذلك مستحيل .. لا يمكن ان يحدث هذا مرة ثانية ؟؟

قال ـ انها الحقيقة يا سيدي . فقد وقعت طائرة فرنسية اخرى .. من نفس النوع .. في نفس الوقت .. وفي نفس المكان .. الذي سقطت فيه الطائرة الاولى .

بعد ذلك شعرت بانه لابد ان يكون ما يقوله صحيحا . خلال دقيقة واحدة كنت قد نهضت وتوجهت الى الداخل .. واخبرت زوجتي (مرجوري) التي كانت تنام داخل المنزل بما حدث .. لم تكن نائمة وكانت تعلم ان شيئا قد حدث ، لان الشاب قد دخل حجرتها قبل ان ياتي للبحث عني فوق السطوح .

قدت سيارتي في الشوارع الخالية باكبر سرعة ممكنة ، متوجها الى القلعة . واخبرت الشرطة ان حادثا اخر قد وقع .. ووجدت من الصعب اقناعهم .. خصوصا وانهم متعبين بعد عمل متواصل خلال يومين .

جهزنا كل شيء وتوجهنا الى سترة .. لا زلت اجد صعوبة في تصديق ان حادثا اخر قد حدث .. قلت لنفسي ـ لابد ان يكون هناك خطا ما .. ربما شاهد قائد احدى الطائرات الطائرة الغريقة واخبر عنها معتقدا انها حادث جديد .

الناس قلائل في (ميناء بابكو) بسترة .. لان الاخبار لم تنتشر بعد .. لكن قوارب بابكو بدات في البحث قبل وصولنا .

نزلنا الى البحر في قارب صغير وبدانا البحث .. رايت رجلا يسبح فاقتربنا منه وانتشلناه بصعوبة لان قواه على وشك الانهيار .. ثم عثرنا بعد ذلك على شخص آخر يسبح .. ومما اثار عجبي عندما انتشلنا الشخص الثاني ، هو ان اول شيء قاله ، ساعتي .. ساعتي .. لقد القيها ماء البحر ، الشخص الاول كان في حالة سيئة لذلك قررنا اخذه الى الفرضة ، وفي طريق عودتنا وجدنا عددا من الجثث تطفو فوق سطح البحر .. اخذنا الرجلين الى حجرة صغيرة حيث بقية الناجين ينتظرون سيارات الاسعاف . هناك رايت رجلا يضطجع على الكرسي .. اعتقد انه اما ان يكون ربان الطائرة او احد ملاحيها .. قال عدة مرات ـ اننا للحظة قبل سقوط الطائرة .. كانت الاجهزة تشير الى اننا على ارتفاع معقول .

بعد وصولنا بقليل احضر احد الزوارق فتاة من البحر ، صغيرة نحيفة ، ولم يبد عليها انها تستطيع ان تسبح لمدة طويلة .. بمجرد دخولها الحجرة طلبت سيجارة .. ثم اعطاها احدهم (سروالا) قديما لتلبسه .. وبعد بضع دقائق قامت تحمل الشاي للمسافرين وتبذل جهدها للتخفيف عنهم .. وعرفت انها الضيفة الجوية .

بدا بعد ذلك الرسميون عن الطيران الفرنسي والبريطاني في اجراء تحقيق شامل حول القضية .

التحليلات في الصحافة الغربية كانت تركز على ان العملية انتقامية خصوصا في الصحف الفرنسية التي اوردت عدة اسباب

بعض ما حملى تقرير .. بقية

تحملها على الاعتقاد بان الحادثين لم يكونا عرضيين ، فالطائرتان كانتا قادمتين من الهند الصينية حيث تحارب فرنسا ·· ويبدو ان احد المسافرين كان يحمل معه تقريرا مفصلا حول نشاط عصابةكبيرة لبيع وتهريب الذهب ، وتضم عددا من كبار الشخصيات فى الهند الصينية ·· لذلك قام هؤلاء بعمل لحماية انفسهم ·

والتحليل الثانى هو وجود مسئول حكومى فرنسى يحمل اوراقا مهمة تتعلق باجتماع كان سيعقد فى باريس بين فيتنام وكمبوديا ولاوس ·· ، ولم يعقد الاجتماع ،

نتائج التحقيق الاولى الذى جرى فى البحرين ·· واخر اجرى فى فرنسا لم تنشر ·· لكننى اشك جدا فى انهم اكتشفوا السبب الحقيقى وراء الحادثين ·

الرأى السائد فى البحرين لدى معظم الناس هو ان الطائرة الاولى سقطت نتيجة لسوء الاحوال الجوية ·· اما الثانية فيبدو ان قائدها قد حلق بها على ارتفاع منخفض لرؤية الطائرة الغريقة ، فكانت النتيجة ان سقطت الطائرة ·

●● طرزان

كانت البحرين فى وضع مزدهر سنة ١٩٣٧ ، فموسم الغوص موفق ·· وكثير من المواطنين يحصلون على رواتب جيدة من عملهم فى مجال النفط ·· لذلك فكر عدد من الشباب البحرينى انه ستكون عملية مربحة لو انهم اقاموا دارا للسينما ·· هذا الاقتراح طرح قبل ذلك بسنوات ، ولم يعمل به فى ذلك الوقت نتيجة لمعارضة بعض الزعماء الكبار الذين اعتذروا بالقول :- بان الاطفال والشباب سيودون دخول السينما ، فى حين ان اباءهم لن يسمحوا لهم ولن يزودوهم بالمال اللازم لشراء التذاكر ، وذلك سيدفع الشباب للعب القمار والسرقة من اجل الحصول على ثمن التذاكر ·

ولكن فى عام ١٩٣٧ ·· انتهت المعارضة وافتتحت اول سينما فى البحرين ·

اعتقد ان عدم تحديد نوعية الافلام اثر تاثيرا سيئا على الناس البدائيين نسبيا ·· فبعد ان عرض فيلم شوهد فيه شخص يدفق (بالاسيد) على شخص اخر ·· بعد ذلك مباشرة وقع حادثين مشابهين على الطبيعة· واعتقد ان عمليات الانتحار الفظيعة بسكب البنزين واشعال النار التى تفشت بين النساء ، سببها يرجع الى حوادث شوهدت على الشاشة ·

واكثر الافلام التى لقت رواجا فى البحرين هى الافلام المصرية لانها تتحدث باللغة العربية ·· لكن الافلام (الغربية القديمة) وافلام طرزان كانت محبوبة من قبل الغربيين ·· لكنى اعتقد انه حين يتقدم التعليم فلن يكون للسينما تاثيرا سيئا ·· عندما قد لا يؤمن الجمهور بان الشاشة تنقل صورة حقيقية للحياة فى الغرب ·

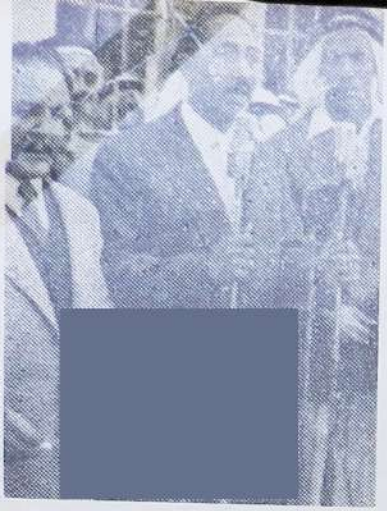

السادات عندما زار البحرين عام ١٩٧٤ ·

●● يوم خرج السادات من الماء

انور السادات المسئول المباشر عن الدعاية المصرية ، مر بالبحرين يوم عيد الميلاد ، فى طريقه الى الكويت ·

وكان اعضاء الهيئة ومجموعة من المؤيدين المتحمسين لهم قد حضروا لاستقباله فى المطار ·· الجو ممطر وقد امتلات ارض المطار ببحيرات صغيرة من الماء المخلوط بالزيت ·· بعد وصول الطائرة هرع اعضاء الهيئة ومساعديهم وحملوا انور السادات على اكتافهم متوجهين به الى بناية المطار ·· لكن احدهم انزلقت رجله ، فشوهد انور السادات منكبا فى احدى البحيرات المليئة بالطين والزيت ، ولم يستطع ان يخفى غضبه ·

كان على انور السادات ان يحضر حفل غداء يقيمه له الشيخ فى قصر الرفاع ، وقد بعث له بسيارة تنتظره فى المطار ·· اركب انور السادات فى السيارة واخذ الى الرفاع ·· وحين وصل القصر طلب ماء وصابون ·· فاخذه احد الخدم الى احدى الحجرات ، بعد ذلك طلب فرشاة لتنظيف ملابسه ·· وحيث ان الملابس العربية لا تستعمل لها فرشاة لتنظيفها ·· فان كل ما كان يمكن تقديمه له ·· هو مكنسة !!

بعد الغداء غادر انور السادات متوجها الى المطار ووصل فى الوقت المحدد لمغادرة الطائرة ·· غير انه لم يتمكن خلال اقامته من حضور اى اجتماع مع اعضاء الهيئة حسب البرنامج الذى وضعته ·· وكانت الزيارة (فالصو) من جميع الجوانب ·· ولم يكن بالامكان فى هذه الحالة القاء اللوم على المستعمرين الامبرياليين ·· ولا على المستشار الخبيث - موضوع شتائم السادات التى لا نهاية لها - ·

●● قاعدة الجفير تسبب غلاء الاسعار

مشروع اقامة قاعدة بحرية فى البحرين لم يزل تحت الدراسة· وكان على ان احضر اجتماعات لا تحصى مع (الكابتن جريج) قائد البحرية البريطانية فى الخليج (الفارسى) ،ومع المقيم البريطانى ، ومع القمندان المسئول عن اسطول شرق الهند ·

بعد موافقة الشيخ تقرر انشاء القاعدة فى الجفير ، واتفق على ان يبدأ المشروع سريا ·

بدأت فى التباحث مع بعض الاهالى لشراء الاراضى التى يملكونها فى المنطقة ، ممثلا للحكومة دون ان يعرفوا لماذا نريد تلك الاراضى ·· الصفقة اخذت وقتا طويلا قبل ان تنتهى ·

فى عام ١٩٣٥ سمع سكان المنامة من دار الاذاعة البريطانية ، ان قاعدة بحرية ستشيد فى البحرين ·

مع ان عددا حول الشيخ وحولى يعرفون عن المشروع الا ان السر بقى محفوظا ، وقد اثار الخبر الذ اوردته الاذاعة سخطا خصوصا بين الاوروبيين الذين ساءهم سماع الخبر من مصادر خارجية ·

سئلت من قبل بريطانيا ان اكتب لهم مذكرة حول ردود الفعل المحلية حول انباء القاعدة ، فوجدت ذلك صعبا ·· لان الاخبار لم يبد انها اثارت انتباه احد ·· ولعل الملاحظة الوحيدة التى وردت بهذا الشان هو ما قاله لى احد الرجال ، من ان سعر البيض سيرتفع ·· سالته : ما علاقة البيض بالقاعدة البحرية ·

قال :- عندما ياتى رجال الحرب الانجليز هنا ·· سوف يشترون كل البيض الموجود ·· وسوف نحصل منهم على سعر مرتفع ، اذا وجدت القاعدة سيتواجد البحارة هنا دائما وسوف لن يتوقفوا عن شراء البيض ابدا ··

بالفعل ما قاله صحيح ·· فلقد ارتفع سعر البيض !··

●● الدكتور ·· شيوعى

فى الثانى من ديسمبر ، بعد ان وصلت الى البحرين انباء القرار الذى اتخذته الامم المتحدة بشان تقسيم فلسطين ، بدأ تلامذة المدارس فى تسيير مظاهرة عبر شوارع المنامة ، واخذوا يرددون الهتافات ، ثم ما لبثوا ان بدأوا فى رشق بعض البنوك التريعمل بها مواطنون من اليهود بالحجارة وهتفوا ضد دكتور امريكى معروف ، متهمينه بانه شيوعى ·· وهذا اتهام غير عادل !!

بعد ذلك انضم اليهم عدد من عمال السفن الايرانيين الذين يعملون فى الفرضة ·· والذين لم تكن لهم ادنى فكرة عما يجرى ·· انضموا الى المظاهرة واخذوا يضربون صدورهم ويرددون الشعارات التى يقولونها عادة فى محرم ، معتقدين انها مناسبة دينية !